الرسول الكريم

في القصص التعليمي الإسلامي

فريد البيدق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرسول الكريم في القصص التعليمي الإسلامي

دراسة مقارنة بين قصة أمنا خديجة بـــ ٦ ب، وبين قصة "أسامة بن زيد" بـــ٢ ع (١)

(١)

أرسل الله تعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ ليكون نذيرًا وبشيرًا؛ قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} [البقرة: ١١٩]، ويتحقق ذلك بتبليغه وحي ربه تعالى، فقال: {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠]، ومن ثَمَّ أوجَب طاعته، فقال: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: ٣٢]، وبيَّن أن طاعته من طاعته سبحانه، فقال: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: ٨٠].

إلى آخر الآيات التي تُبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الشريعة ومبلغها؛ لذا وجبت له حقوق على المؤمنين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الحجرات: ١ - ٤]، وقال: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور: ٦٣]، وامتدت تلك الحقوق إلى أزواجه؛ قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: ٦].

إلى آخر الآيات التي تُبين مقام النبي صلى الله عليه وسلم الذي أشار إليه النبي الكريم في الحديث الذي رواه البخاري: "حدثنا علي بن عياش، حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته - حلَّت له شفاعتي يوم القيامة)).

ومِنْ خَرقِ واجبات مقامه صلى الله عليه وسلم، ومِن قبله خرق الدين - الكذب عليه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد في صحيح مسلم: ((من حدَّث عني بحديث يُرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين)).

وتتعدد صور الكذب؛ فمنها وضع الأحاديث التي لم يقلها صلى الله عليه وسلم، وهذه تصدَّى لها جهابذة نقاد الحديث وبيَّنوا زيفها، ومنها الصورة التي معنا، ومنها غيرهما.

ما الصورة التي معنا؟

إنها الصورة التي وُجدت مع وجود مسمى الأنواع الأدبية الذي أفرز القصص التاريخي.

كيف؟

في القصص التعليمي التي تتحدث عن شخصيات إسلامية من صحب الرسول الكرام نجد هذا الخلل.

مثل ماذا؟

مثل القصة المقررة على الصف السادس الابتدائي في مادة التربية الإسلامية المعنونة بـــ"السيدة خديجة"، ومثل القصة المقررة على الصف الثاني الإعدادي في مادة التربية الإسلامية المعنونة بـــ"**أسامة بن زيد ..أصغر قائد في الإسلام**".

كيف؟

نجد الكاتب في القصة الأولى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية أدبية، فكذب كذبًا أظنه يحدث أول مرة في التاريخ الإسلامي، فإن معنى الشخصية الأدبية أن يصوغها الكاتب ويحدد أبعادها، ويوجِد لها مواقفها، ويخصص لها لغتها ...إلخ، وأقل منه فعل مؤلف القصة الأخرى، ونتيجة ذلك تؤول إلى أن الكاتب أقوى من شخصياته؛ لأنه الذي يُنشئها ويفعل معها ما سبق.

فهل يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية أدبية؟

لا، لا يكون؛ لأنه صاحب المقام الرفيع الذي يفرض على المؤمنين اتباعه لا تطويعه كما فعل المؤلف؛ مما يوجب منع تدريس هذه القصة أو تعديلها تعديلًا جوهريًّا يحذف مواضع المساس.

وسأبدأ بقصة أُمنا خديجة التي شهِدت مآخذ أخرى بجانب هذه المؤاخذة الكبيرة، سأوردها بدءًا، وسأختم بجعل الرسول شخصية أدبية.

ومجموع هذه المؤاخذات كنت كتبتها منذ سنوات، وكان من ثمرتها حذف صفحة ونصف الصفحة مما أشرت إليه فيما سأورده من مقالات كالآتي:

١- الأدب أو التاريخ .. أيهما السيد عند الأديب؟

٢- **الطفل بين أدب الإسلام والأدب الموجه إليه.**

٣- في قصة السيدة خديجة لغة ميسرة الجاهلي قرآنية.

٤- قصة السيدة خديجة للسادس الابتدائي تلخيص وليست تأليفًا.

٥- **نقد وجهة نظر الغائب في القصص التي تجعل رسول الله شخصية أدبية.**

٦- هل يكون رسول الله شخصية ثانية في العمل الأدبي؟

٧- هل يكون رسول الله شخصية أدبية؟

٨- واستجابت وزارة التربية والتعليم في ٢٠١٦م لما قلته في ٢٠١٢م بشأن الفصل الرابع من قصة أمنا خديجة للسادس الابتدائي.

وأرجو أن يساعد هذا النشر المجموع إلى إحداث التغييرات المطلوبة، بل أدعو! وسأورد المقال ملخصًا بعنوانه كما حدث في الدراسة المقارنة السابقة "**القيم .. دراسة مقارنة بين قصة عقلة الإصبع بـــ ٥ب وقصة علي مبارك بـــ ٦ ب**".

(٢)

١- الأدب أو التاريخ .. أيهما السيد عند الأديب؟

أعلم أن العنوان بهذه الصيغة يوحي بأنه سيكون قصيرًا؟

لماذا؟ لأنه معلوم أن الأديب يستمد مشروعية وجوده وماهية ذاتيته من الأدب؛ فلذلك سيكون الأدب هو السيد عنده، وبهذا ينتهي المقال.

فهل هذا صحيح؟ هل الأمر بهذا الوضوح الذي يجعل القضية منتهية؟

لا أظن ذلك!

لماذا؟

لأن هذه قضية من قضايا الثنائيات.

كيف؟

لها طرفان: أولهما يرى السيادة للتاريخ بصدق حوادثه وواقعية أحداثه، وعلى من يرغب في التعامل معه أن يلتزم منهجه وقواعده، وآخرهما يرى أن السيادة للأدب؛ فالأديب لا يكتب تاريخًا، وعلى من يطلب التاريخ أن يلتمسه في كتب التاريخ.

لهذا أنصار من التاريخيين والأدباء وغيرهما، وللآخر أنصار من التاريخيين والأدباء وغيرهما.

هذه الثنائية تجعل المرء مضطرًّا إلى الانتماء إلى أحد الاتجاهين من دون توسُّط، فهل الأمر كذلك؟

لو عدنا إلى تراثنا وجدنا القصاص موجودين فيه منذ القدم، وكانوا يُتركون، فهل اختلف الأمر الآن حتى تثار هذه القضية؟

نعم.

كيف؟

قديمًا كانت الدولة قوية، وحركة العلم قوية، فمصطلح الحديث وضوابطه فاعلة، وعلم أصول الفقه قوي ... إلخ، وكان هدف القصاص الترفيه والوعظ، أما الآن فإن الأدب قد دخل الفنون الأخرى التي تصل إلى الناس في بيوتهم من تلفزيون وإذاعة مسموعة وصحافة ... إلخ؛ مما يجعله أداة في تغيير التصورات والفكر والسلوك؛ مما يؤكد دوره الاجتماعي، وأنه لا صحة لمقولة: "الفن للفن".

وقد اشتَهرت عبارات؛ مثل: "إذا أردت أن تعرف أمة، فابحث عن أدبها"، ويقصدون به الأدب المكتوب الذي هو الرواية والقصة والمسرح، لا ما تلتزمه الأمة من قيم ومناهج وأخلاق، وشاع في الأمة الابتعاد عن العلم، واستسهال الحصول على المعلومة، ولا سيما المعلومة التاريخية مهما كان عصرها وزمنها، فقد صارت الأعمال الدرامية المصدر الوحيد لمعرفة الكثيرين عن تاريخهم، وقوِي سلطانُ الأدب والأديب، وانحصر دور المؤرخ في المعاهد العلمية، فهل بعد ذلك نظل على تلك الرؤية التي تعطي قصاص اليوم – المسمَّوْن بالأدباء – الحريةَ في تناول التاريخ كما يرونه؟

وقد بيَّنت في مقال آتٍ – وهو: (**نقد وجهة نظر الغائب في القصص التي تجعل رسول الله شخصية أدبية**) – أن من يتناول التاريخ أدبيًّا، عليه أن يقرأ ويعيد القراءة حتى يبدو متخصصًا، وأن يكون له هيئة استشارية متخصصة.

لماذا؟

لأن كتابته ستكون بنت ما يعتمل داخله من علم وثقافة، فلو لم يتشبع بثقافة المرحلة التاريخية التي يتناولها، فلن يكون أدبه إلا مزيجًا من واقعه وأعرافه التي يعيشها مع نُتَفٍ من حقيقة تلك المرحلة – مما ينعكس سلبًا على القارئ والمشاهِد فيما بعد – وتشويهًا في تصور تلك المرحلة بأشخاصها وأعرافها.

كيف؟

إن من يشاهد معظم الأعمال الدرامية التاريخية، يداخله إحساس بعدم غرابة ما يراه؛ لا لأن الأعراف واحدة بين زمنه وزمن الأحداث، ولكن لأن الكاتب نسج الأحداث على وَفق الزمن الحاضر، ولا سيما في زمن الصحابة الذي يُستمد منه التشريع؛ مما يجعل الأمر غير مقتصر على الأدب فقط، بل يدخل فيه أشياء أخرى تضع السم في العسل.

وصار هذا منهجًا بغض النظر عن الفئة المستهدفة من هذا الأدب.

كيف؟

قد يبدو تعبير "الفئة المستهدفة من هذا الأدب" غريبة على الأسماع؛ لأن الأدب سلعة تنتج ويتلقفها من شاء، لكنني ما قصدت مطلق الأدب، بل قصدت الأدب المنهج.

ما الأدب المنهج؟

إنه ذلك الأدب المختار من وزارة التربية والتعليم؛ ليقرر على التلاميذ والطلبة، ويزداد الأمر خطورة إذا كان ذلك الأدب المختار مقررًا على ناشئة صغار.

كيف؟

في القصة المقررة على الصف السادس الابتدائي المعنونة بـــ"**السيدة خديجة رضي الله عنها**"، يظهر ذلك جليًّا في مواقف ومشاهد كثيرة أَجتزئ منها بأمثلة دالَّة، لعلها تعمل على تصحيح الأمر بإلغاء تدريسها:

أ- أورد ص١٢ في حوار بين السيدة خديجة وأبيها خويلد: "سارع خويلد قائلًا: الربح الحلال طبعًا يا خديجة، فالربح الحرام لا يدوم؛ إن ناله صاحبه مرة، فلن يناله أخرى، ولن ينفعه ما ربِح، بل يُسلط الله عليه ما يُضيعه جميعًا، ينسفه ولا يبقي منه باقية، وهو لا يذهب وحده، بل يأخذ في رجليه سواه من الربح الحلال".

وأسأل بعيدًا عن ضَعف اللغة التي لا تليق بواحد من العرب أهل اللغة: هل هذا كلام رجل من الجاهلية؟ أم هل هو كلام المؤلف للتلاميذ؟ أم هل هو استحضار لصورة ممثل ينصح في فيلم أو مسلسل؟ أم هل هو استحضار للمثل العامي: "حط الحرام على الحلال عشان يزيده، مِشي الحرام وخد الحلال في إيده".

ب- وأورد ص١٥: "كان اليوم بديعًا رقيق النسيم، قضته مكة كلها في حركة دائبة بين بيت خويلد، حتى أقبل المساء، فعقد القران بجانب الكعبة، ثم طاف الناس حولها شاكرين داعين، وانطلقت الزغاريد من بيت خويلد".

وأسأل: هل تعرف العرب عقد القران؟ أم هل هذه ثقافة المؤلف التي أخذها من بيئته وثقافته؟ وهل انطلاق الزغاريد مظهر فرح عربي أم مظهر فرح شعبي الآن؟

ج- وأورد ص٤٢: "ثم انصرفت مسرعة ودخلت على خديجة، ودخلت عليها فائضة السرور، وزفت إليها البشرى بقبول محمد، فقبلتها خديجة وضمتها مرات، ثم نهضت إلى أحد مخازنها واختارت بعض الهدايا الثمينة، وقدمتها إليها في سرور".

وأسأل: هل هذا فرح العرب؟ أم هل هو تمثُّلُ فرح ممثلات الأفلام وكان ينقصه أن يقول: ودارت حول نفسها كالفراشة؟

(٣)

٢- الطفل بين أدب الإسلام والأدب الموجه إليه:

الأطفال جزء من المجتمع ينعكس عليهم ما عليه مجتمعهم؛ فإن كان جادًّا مستقيمًا انعكس على الأطفال فيما يتلقونه من أدب وتعليم، وإن كان غير ذلك فحدِّث ولا حرج.

ما معنى ذلك؟

معناه أن الأطفال سيكونون كمجتمعهم مهما كانت الأمنيات والسياسات والتنظيرات، فإذا كان المجتمع جادًّا فسنرى سمات تلائمه.

كيف؟

لنستمع إلى الحديث الذي أورده الإمام أحمد في مسنده؛ لنرى طموح هذين الغلامين في المعركة:

حدثنا أبو سلمة يوسف بن يعقوب الماجشون، عن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده عبدالرحمن بن عوف، أنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف، نظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنَّيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك يا ابن أخي؟ قال: بلغني أنه سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، قال: فتعجبت لذلك، قال: فلم أَنشَبْ أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت لهما: ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، فابتدراه

فاستقبلهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرَفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبراه، فقال: ((أيكما قتله؟))، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: ((هل مسحتما سيفيكما؟))، قالا: لا، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، في السيفين، فقال: ((كلاكما قتله))، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وهما معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء.

ولنستمع إلى تلك اللفتة التي تفعل في نفس الطفل ما تفعل في الحديث الذي رواه البخاري:

حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا أبو غسان، قال: حدثني أبو حازم، عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقدح، فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: ((يا غلام، أتأذن لي أن أعطيَه الأشياخ))، قال: ما كنت لأُوثر بفضلي منك أحدًا يا رسول الله، فأعطاه إياه.

ولنر التعليم الذي لا يغادر لحظة الخطأ في الحديث الذي رواه البخاري:

حدثنا علي بن عبدالله، أخبرنا سفيان، قال الوليد بن كثير: أخبرني أنه سمع وهب بن كيسان، أنه سمع عمر بن أبي سلمة، يقول: كنت غلامًا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا غلام، سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك))، فما زالت تلك طعمتي بعدُ.

ثم نستمع إلى هذا الحديث الذي يحدث الرسول فيه غلامًا عن العقيدة والمعاني التي يقول عنها المحدثون: إنها معانٍ مجردة لا تصلح إلا للكبار - في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه الألباني:

حدثنا أحمد بن محمد بن موسى، قال: أخبرنا عبدالله بن المبارك، قال: أخبرنا ليث بن سعد، وابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج، وحدثنا عبدالله بن عبدالرحمن، قال: أخبرنا أبو الوليد، قال: حدثنا ليث بن سعد قال: حدثني قيس بن الحجاج، المعنى واحد، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فقال: ((يا غلام، إني أُعلمك كلمات، احفظ الله يحفظْك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجَفَّت الصحف))؛ هذا حديث حسن صحيح.

ثم نرى هذا الموقف القضائي الذي أوكل فيه الرسول إلى الغلام تقرير مصيره في الحديث الذي رواه النسائي وصحَّحه الألباني:

أخبرنا محمد بن عبدالأعلى، قال: حدثنا خالد، قال: حدثنا ابن جريج، قال: أخبرني زياد، عن هلال بن أسامة، عن أبي ميمونة، قال: بينا أنا عند أبي هريرة، فقال: إن امرأة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: فداك أبي وأمي، إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد نفعني وسقاني من بئر أبي عنبة، فجاء زوجها وقال: من يخاصمني في ابني؟ فقال: ((يا غلام، هذا أبوك وهذه أمك، فخذ بيد أيهما شئت))، فأخذ بيد أمه، فانطلقت به.

ثم نعرج على تلك اللفتة التي تستغل اللحظة بالتأصيل التاريخي والتشريعي في الحديث الذي رواه البخاري:

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعوذ الحسن والحسين، ويقول: ((إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامَّة)).

هذه بعض سمات المجتمع الجاد الذي له طموح حقيقي يتغياه في تربية أبنائه، ومن أراد المزيد، فعليه بكتب الأحاديث والآثار؛ ليرى ما فعله الرسول في تربية أبنائهم، فإذا لم يكن المجتمع كذلك، فإننا نرى ذلك في كل مناحيه وفي تعامله مع ثقافة الأطفال وأدبهم، وإذا اطلعنا على الأدب الموجه إلى الأطفال الذي يحتذي الأدب الغربي المسمى الأدب العالمي إعلاميًّا، وما يتصل بناحية المشاهدة الموجهة إلى الأطفال في أدب برامج الأطفال ومسلسلاتهم وأفلامهم الكرتونية وغيرها - نجده يتمثل في هذه الثلاث التي قالها أحد المهتمين: الجنس، والسحر، والعنف.

فإذا تركناها إلى الأدب المقروء، وجدنا الأمر لا يختلف كثيرًا في معظم الأعمال التي تتغيَّا الأدب الغربي، بل لم يعد الأمر مقتصرًا على ذلك، بل اشتدت الأزمة بأن دخل هذا الأدب إلى الأطفال في صورة إلزامية.

كيف؟

لقد صار منهجًا دراسيًّا، ومقررًا تقرره وزارة التربية والتعليم على الصف السادس الابتدائي.

فلو سألنا أنفسنا: ماذا يلائم الأطفال؟ أتلائمهم الحقائق؟ أم يلائمهم الخيال؟

إن الطفل يلائمه الحقيقة لا الخيال.

لماذا؟

لأنه في مرحلة بناء وهذه تلائمها تنمية الوقائع؛ قال تعالى: {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يوسف: ٥]، وقال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢]، وقال: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: ١٧ - ١٩].

إنها الحقيقة التي لا تستدعي طويل كلام ولا طويل وصف، ولا تعريج على غيرها قبلها تمهيدًا لها زعمًا.

إذًا، الأدب الموجه إلى الأطفال ينبغي له أن يركز في الحقائق ويوصلها من أقصر طريق؛ لأن تنمية الخيال ليست مطلوبة في هذه المرحلة، وإن قُصدت فلن تكون بهذه الوسيلة.

كيف؟

في قصة السيدة خديجة المقررة على الصف السادس الابتدائي، نجد وصفًا وخروجًا إلى الخيال لا يفيد، ولا يليق بأمنا خديجة رضي الله عنها.

كيف؟

هاكم بعض أمثلة توضِّح مقصود الكلام.

١- يقول الكاتب: "ثم دعا ابنته خديجة، فجاءت تمشي على استحياء، **ووقفت أمامه فارعة القوام، متلألئة الوجه، ينعكس ضوء المصباح الدري على وجهها، فيزيده جمالًا على جمال**"، ثم قال في فقرة تالية في الصفحة ذاتها: "أطال خويلد النظر في **وجه خديجة المستدير، وفي عينيها النجلاوين، وثغرها الباسم**"، ثم قال في فقرة تالية في الصفحة ذاتها: "**فتلقت الفتاة السؤال بابتسامة عريضة كشفت عن أسنان مرصوصة كأنها الدر المنظوم**".

٢- يقول ص٢٠: "وانقضى العام فزادت الدار بهجة بمولودة وثقت رباط المحبة بين الزوجين، واشتد تعلق أبيها بها؛ إذ كانت كبيرة الشبه بأمها خديجة: **واسعة العينين، طويلة الشعر، مستديرة الوجه، جميلة الصورة**".

لِمَ هذا الوصف الحسي لأُمنا التي ما يجب أن تدخل إلى الطفل إلا بالوصف المعنوي كما سيرد في أثناء الفصول لاحقًا؟

ولن نجد جوابًا.

(٤)

٣- في قصة السيدة خديجة .. لغة ميسرة الجاهلي قرآنية:

عندما يختار الكاتب وجهة نظر الغائب، فإنه مطالب بالمحافظة على لغة شخصياته وثقافتهم، فلا يظهر شخصية بما لا يتلاءم معها لغة أو ثقافة ... إلخ.

لماذا؟

ليحقق الصدق الفني.

فهل فعل مؤلف قصة السيدة خديجة المقررة على الصف السادس الابتدائي ذلك؟

لا؛ فإنها قصة تاريخية، ولا بد أن يحافظ الكاتب على لغة شخصياته، وأزيائهم وما يتصل بالمرحلة التاريخية.

لماذا؟

لأن لكل مرحلة معجمها.

فهل فعل الكاتب ذلك؟

لا.

كيف؟

في حوار السيدة خديجة مع ميسرة غلامها عن رحلة النبي الكريم إلى الشام، أخذ يصف لها ما حدث، ومما ورد في هذا الحوار ص٣٧ في معرض وصفه الشام قوله: "وكيف خلق بلادنا صحراء جرداء لا نبات فيها ولا ماء، وخلق في الشام جنات **ألفافًا وحبًّا وعنبًا وقضبًا وزيتونًا وحدائقَ غُلبًا**".

هكذا نجد ميسرة الجاهلي يردد آيات من القرآن الكريم قبل بَعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبل نزول هذه السورة الكريمة سورة عبس، ولو أتى هذا الوصف على لسان المؤلف، لَما كانت هناك مؤاخذة، لكنه ورد على لسان شخصية من شخصيات قصته الأدبية التي اختار لها وجهة نظر الغائب.

وهاكم سياق الآيات من سورة عبس التي اقتبس منها الكاتب وصف الشام، قال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس: ٢٤ - ٣٢].

(٥)

٤- قصة السيدة خديجة للسادس الابتدائي تلخيص وليست تأليفًا:

إن كنت قد قرأت قصة "**خديجة بنت خويلد**" التي كانت مقررة على الصف الثامن من التعليم الأساسي سنة ١٤٠٥هـ و١٩٨٥م، كما تقول الطبعة التي أنظر فيها الآن، وألَّفها كل من الأستاذ **عبدالسلام العشري**، والأستاذ **محمد عبدالغني حسن**، وعدد صفحاتها ٢٢٤ صفحة، وعدد فصولها ٢٣ فصلًا.

إن كنت فعلت ذلك، وإن كنت قد قرأت قصة "**نموذج المرأة المسلمة السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنه**" المقررة على الصف السادس الابتدائي، وصفحاتها ١٤٣ صفحة، وعدد فصولها ١٠ فصول.

إن كنت فعلت الأمرين، فإنك ستعلم عِلم يقينٍ أن القصة الأخيرة اقتباس وتلخيص للقصة الأولى، وكان يجب على وزارة التربية والتعليم أن تكتب "**تلخيص واقتباس**" قبل اسم الأستاذ أحمد محمد صقر وليس "**تأليف**"، لكن المكتوب هو "تأليف"، وما هي بتأليفه.

وإن طرحنا ذلك دُبر آذاننا، فإن السؤال الذي يبرز: كيف تقلص ٢٣ فصلًا في ١٠ فصول؟ وكيف وضعت ٢٢٤ صفحة في ١٤٣ صفحة فقط؟

والجواب كالآتي:

ضم الفصل الأول من القصة المقتبسة المعنون بـ"**نشأة كريمة**" الفصول الأربعة الأُوَل من القصة الأم المعنونة بـ"**ريحانة الدار، وخبر سار، وعروس قريش، وراهب مكة**".

ودمَج المقتبس الأستاذ أحمد محمد صقر الفصول الخمسة التالية المعنونة بـ"**المقادير، وحزن جديد، وأمل، وعرض، ولقاء**" – في فصله الثاني المعنون بـ"**عزيمة ومهارة**".

وجمع الفصل العاشر ونصف الحادي عشر المعنونين بـ"**عزم، وتفكير**" في فصله الثالث المعنون بـ"**دوافع الارتباط**".

ثم وضع نصف الفصل الحادي عشر المتبقي والفصول الثلاثة التالية المعنونة بـ"**اتفاق، والزواج، وأبوالقاسم**" – في فصله الرابع المعنون بـ"**الرباط المتين**".

وجمع الفصلين الخامس عشر والسادس عشر المعنونين بـ"**إيمان، وحديث مكة**" في فصله الخامس المعنون بـ"**بدء الرسالة وأولى المؤمنات**".

ووضع في فصله السادس المعنون بـ"**أم المؤمنين والجهر بالدعوة**" الفصلين السابع عشر والثامن عشر المعنونين بـ"**أم المؤمنين، والمعركة**".

وفي فصله السابع المعنون بـــ"**في مواجهة الحصار**" وضع الفصلين التاسع عشر والعشرين المعنونين بـــ"**اشتداد المعركة، ومعركة القوت**".

ثم وضع الفصل الحادي والعشرين المعنون بـــ"**السهم الأخير**" في فصله الثامن المعنون بـــ"**وفاة أبي طالب**"، ووضع الفصل الثاني والعشرين المعنون بـــ"**فراق**" في فصله التاسع المعنون بـــ"**وداع وأسى**"، ووضع الفصل الثالث والعشرين المعنون بـــ"**ذكرى دائمة**" في فصله العاشر المعنون بـــ"**ذكريات ووفاء**".

هكذا رأيناه يجمل الفصول الكثيرة في فصل واحد بدءًا؛ مما جعل الفصول الأولى تبدو كبيرة الحجم، ولا تلائم قصة تربوية تقتضي قصر الفصول، ثم انتهى آخرًا إلى نقل الفصل الواحد في فصل واحد مع تغيير العنوان.

و لم يكن امتداد الفصل وكبره هو سيئة التلخيص الوحيدة.

كيف؟

أدى حذفه رؤيا أُمنا خديجة وما استتبعها من حوارها مع **ورقة بن نوفل** - الذي أورده الكتاب الأصلي من ص٥٧ إلى ص٦١ - إلى عدم تسويغ سعي السيدة خديجة للزواج من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وما حدث مع أُمنا خديجة حدث مع ورقة وحديثه مع كبار رجال قريش الذي خصَّته القصة الأم بفصل عنونته بـــ"**راهب مكة**"، وامتد بين ص٢٩ إلى ص٣٣، إلى غير ذلك من سيئات التلخيص الذي شوَّه كثيرًا من الأحداث.

وقد يتساءل إنسان لم يقرأ القصتين معًا سؤالًا نظريًّا مؤداه كالآتي: ألا يمكن أن يكون مصدر أخذهما واحدًا؟ وأقول: لا.

لماذا؟

لأن القصة قصة أدبية وليست تاريخية تعتمد الروايات.

وقد يثور سؤال شبه موضوعي.

ما هو؟

لماذا لا يكون التشابه توارد فكر؟

والجواب يسير مفاده أن التوارد لا يجعل التعبير متفقًا على الرغم من وَحدة الموضوع.

(٦)

٥- نقد وجهة نظر الغائب في القصص التي تجعل رسول الله شخصية أدبية:

هل يصبح الأديب باحثًا؟

نعم.

متى؟

عندما يرغب في كتابة قصة تاريخية.

كيف؟

يقضي زمنًا في الإعداد لعمله الروائي بجمع المادة التي سيصنع منها عمله الأدبي من مظانها المعلومة لأهل العلم.

كيف؟

إذا كان عمله الأدبي سيتناول قائدًا عسكريًّا جمع الكتب التي ألَّفتها هذه الشخصية إن وُجِدت، أو المذكرات التي تركتها إن وُجِدت، ثم يبدأ رحلة استطلاع واسعة يحاور فيها من اتصل بهذه الشخصية، ثم يحاور المتخصصين؛ لأنه سيستخدم مصطلحات فنية متخصصة ...إلخ.

وتضاف إلى هذه المصادر الشخصية نفسها إذا كانت حية، فيحاورها.

ويظل هكذا حتى يشعر أن مادته قد اكتملت.

لماذا؟

حتى تضيق المساحات المتروكة في عمله، فتقل المواقف الأدبية التي يخترعها؛ ليكمل بها تلك المساحات المتروكة في المادة.

وكلما سمت الشخصية وارتقت، زاد خطر عمله، وزاد جهده البحثي الإعدادي قبل بَدء عمله الأدبي الذي يرتب فيه الأحداث ويرسم الشخصيات، ويُحكم البناء الفني ويحدد حبكته ... إلخ.

لماذا؟

هل يطالب الأديب أن يكتب تاريخًا؟ أم هل يطالب بإنتاج الأدب؟

أرى أن الأدب لا يصادم التاريخ.

كيف؟

إن الأديب يلجأ إلى التاريخ لأسباب عديدة؛ منها أنه أحب تلك الشخصية، ومنها استخدام تلك الشخصية رمزًا لشيء معاصر له، فيسقطه عليه ... إلخ.

وهو في كل ذلك ينتظم عمله من مادة علمية تحوي معلومات وبنية أدبية تعيد تشكيل هذه المادة العلمية، وليس من حقه أن يدخل عنصرًا زائدًا في المعلومات، وإن كان هناك أدباء ونقاد يرون أن الأديب حر في اختراع ما يراه خادمًا لرؤيته الأدبية.

السابق في القصص التاريخي الذي يتناول الشخصيات التاريخية غير المقدسة، فماذا لو حاول أديب أن يتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وماذا لو حاول أديب أن يتحدث عن أمهات المؤمنين؟ وماذا لو صنع عملًا جمع فيه بين الرسول صلى الله عليه وسلم والسيدة خديجة رضي الله عنها؟

في عمل كهذا ماذا يجب على الأديب في إعداده؟ وماذا يجب عليه إذا بدأ في البناء الفني؟

إذا كان أديبًا ملتزمًا بالإسلام، مستحضرًا حُرمة النبي صلى الله عليه وسلم - فسيكون الأمر مختلفًا عما إذا كان الأديب غير ذلك؟

كيف؟

إذا كان ملتزمًا، فستطول مرحلة الإعداد على النحو الآتي:

١- يجمع الآيات القرآنية والأحاديث والآثار التي ستمثل مادة عمله من كل المظان؛ من كتب الأحاديث، والتفاسير، والسيرة... إلخ.

٢- يختار الأحاديث الصحيحة والحسنة إذا كان قادرًا، وإلا لزمته الاستشارة العلمية الدائمة؛ حتى ينتهي عمله من متخصص في علم الحديث، أو أكثر من متخصص.

٣- يقرأ تفسير الآيات التي جمعها في أكثر من تفسير، ويقرأ شروح الأحاديث التي اختارها في أكثر من شرح.

لماذا؟

حتى يتشبع بالروح الإسلامية التي تجعله يتمثل ما يجب تمثُّله، حتى إذا اضطُرَّ إلى أن يَصِف أو يُجريَ حوارًا لم يبتعد عما يجب.

٤- بعد أن يطمئن إلى صحة مادته التي سيبني منها عمله، وبعد أن يطمئن إلى أن ما يجول بذهنه الأدبي أصبح ملائمًا - يبدأ بناء العمل الأدبي.

٥- يبدأ عمله الأدبي مراعيًا عدم اختراع حوادث لم تَرِد، ومراعيًا جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الشخصية الرئيسة، وإن غابت عن بعض الأحداث، ومراعيًا ألا يُجري حوارًا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَرِد، وإنما يجريه للضرورة الأدبية فقط ... إلخ.

٦- بعد أن يكتمل عمله الأدبي يراجعه مرة ومرة، حتى يقيم بناءه الأدبي على ما يجب على المسلم تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتجاه أم المؤمنين.

٧- يبدأ رحلة استشارة شرعية وأدبية؛ حتى يطمئن إلى أنه لم يتجاوز.

هذا ما يجب على مَن أراد أن يكتب قصة أدبية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين، فهل فعل مؤلف قصة "السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها" ذلك؟

تعالوا معًا نستعرض الإجابة من سمات العمل الأدبي الذي جمع بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأمنا خديجة، وقررته وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية على تلاميذ الصف السادس الابتدائي، لنرى كيف صنع الرجل؟

أولاً: الفكرة:

كتب المؤلف الأستاذ أحمد محمد صقر على غلاف كتابه الأول: "نموذج للمرأة المسلمة: السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها"، وهذا هو الواقع الذي يعلمه الجميع الذي يوهمنا أن الأستاذ أحمد صقر قصد الكتابة عن أمنا خديجة؛ ليُجلي سماتها للتأسي، فهل استمر عليه الأستاذ أحمد صقر؟

لا.

كيف؟

كتب في التقديم ص ٣-٤ ما ينسف السابق.

ماذا كتب؟

كتب موضحًا فلسفة عمله مختزلًا السيدة خديجة أم المؤمنين في كونها امرأة عربية تقدم مثالًا للمرأة العربية التي تعيش واقعًا يعلمه الجميع؛ من اغتراب في العرف والعادة والتفكير، والأمل والطموح عنها.

قال: "...فيَسُرُّنا أن نقدم نموذجًا للمرأة العربية المسلمة".

نراه هنا تراجع عن كون السيدة خديجة نموذجًا للمرأة المسملة، فقيَّدها بالعربية؛ مما جعلها تترك حيزًا كبيرًا مما كان لها في الغلاف.

قال: "...ردًّا على من يظلمون الإسلام، ويَدَّعون أن المرأة العربية في ظل الإسلام لا تصلح إلا للبيت، وأن الإسلام يمنع المرأة من المشاركة في الحياة العامة والعمل".

نراه يزداد تراجعًا ويُخلصها نموذجًا للمرأة العربية بعد أن حذف وصف "المسلمة".

أما قضية عمل المرأة، فهي موضوع كامل ليس هذا مكان مناقشته، لكن يلزمنا أن نشير إلى أن إدارة أمنا خديجة أعمالها لم يكن كما تفعل سيدات المجتمع الآن.

قال: "المرأة العاملة التي اقتحمت سوق العمل".

وهنا ينقض ما سيحكيه هو من أحوال توضح أن العمل أُقحم عليها نظرًا إلى وفاة والدها وزوجها، لا أنها هي التي اقتحمتْه، فهذه مغالطة.

قال: "الأم التي أحسنت تربية بناتها وأهَّلتهنَّ؛ ليكنَّ مثلها في تحمُّل المسؤوليات ويُشرِّفنَ وطنهنَّ".

زجَّ بالوطن حيث لا مكان له؛ فإن السيدة خديجة لم يَدُرْ بخَلَدِها وطنٌ، إنما كان همها إسلام ودين ودعوة.

وهل يتعارض الإسلام مع الوطن والوطنية؟

هذه قضية ليس هذا مكانها، لكن الوطنية إذا انفردت صدمت الإسلام كما عايشنا ذلك بعد أن أثار الاستخراب المسمى استعمارًا أمر الوطنيات والقوميات؛ مما جعل الوطن قبل الإسلام، ومما جعل المسلم يحارب المسلم تحت راية غير المسلم؛ لأن هذا من وطن وهذا من وطن.

ثانيًا: البناء الفني ووسائله:

بعد أن أوضح الكاتب هذه الفلسفة التي سيَعمِد إلى بثها خلال قصته، أو التي اختار السيدة خديجة لبثها؛ لأنها تمثل موضوعه الذي جعله يقدم السيدة خديجة، فهو لم يقصدها؛ ليُجلي سماتها فقط أُمًّا للمؤمنين، بل ليجلي سماتها التي تخدم فكرته وموضوعه.

فعل ذلك على عكس ما ينبغي وعلى عكس ما فعَله الأستاذ إبراهيم محمد الجمل في قصته "أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين" المقررة على الصف الأول الإعدادي.

كيف؟

لقد حدد الرجل فلسفة عمله في قوله في المقدمة ص٣: "**يسعدنا أن نقدم لكم قصة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ... وهدفنا من تقديم هذا الكتاب لكم يتمثل في:**

١- تعرف سيرة هذه المناضلة العظيمة وما قدمته لدينها وقومها.

٢- تعرف أسلوب حياة المسلمين في عصور الإسلام الأولى، وما قدموه في سبيل المحافظة على الإسلام ورفع رايته.

٣- الاقتداء بهؤلاء العظماء في سلوكهم القويم".

ثم أكد ذلك في الخلاصة ص٤٥؛ حيث قال: "**تختتم هذه القصة بالهدف الذي نسعى إليه وهو الأسوة والقدوة في سيرة أسماء في الكرم وقوة الإيمان، والصبر والشجاعة والصمود؛ لتكون نبراسًا لكل فتاة مؤمنة معتزة بربها ودينها ونفسها، والله الموفق**".

هذا ما ينبغي أن يكون هدفًا من سِيَر هؤلاء العظماء الذي ما كانوا إلا بالدين وللدين.

وقد جاءت القصة وأحداثها وبناؤها وَفق هذا الهدف، فخرجت متميزة عن تلك التي نحن بصددها، وقد يكون ذلك من المؤلف أو من المراجع الذي أعدها للدراسة الأستاذ **مصطفى كامل مصطفى**، وقد يكون من المراجع الأستاذ **أحمد حسن حمزة**.

لكن ما يهمنا أن هذا هو النموذج للفكرة التي تحدد معالم البناء الفني بوسائله.

أقول: بعد أن حدد فلسفة عمله، حدَّد وجهة النظر التي سيروي من خلالها الأحداث.

فماذا كانت؟

كانت وجهة نظر الغائب التي تجعل المؤلف هو المهيمن على كل عناصر قصته من شخصيات ورسمها ظاهرًا وباطنًا وحوارًا ومناجاة وغير ذلك، وهذه خطرة زلقة.

كيف؟

إذا كانت مع شخصيات وهمية ينشئها المؤلف، تكون الصعوبة في رسم الشخصية، وتحديد سلوكها ولغتها بما يلائم ثقافتها، فإذا كانت تاريخية أُضيفت صعوبة تمثل الشخصية الحقيقية، فإذا كانت شخصية مقدسة صار الأمر يتطلب الالتزام بالروايات الصحيحة.

فهل التزم الأستاذ أحمد محمد صقر بذلك؟

والجواب الذي يظهر من كلماته وسطوره هو: لا.

كيف؟

في المساحة التي يقولها المؤلف نيابة عن الشخصية وصفٌ نجده خرج عما ينبغي، وسأضرب مثالين:

ورد أولهما ص١٥ عند حديثه عن زواج السيدة خديجة الأول، فنجده يخبرنا عنها قائلًا: "**ودخلت السيدة خديجة أبواب الحياة الجديدة كبيرة الأمل شديدة الطموح، لكنها مع ثقتها الشديدة بنفسها وحب زوجها لها، وحديث الناس عن مستقبلها الباهر – كانت تحس بخوف شديد من الأيام، يحدثها قلبها بأنها تخفي بداخلها شيئًا لا يعلمه غير علام الغيوب**".

انظر كيف سرد الرجل أنها كانت تحس بخوف ويحدثها قلبها أن الأيام تخفي شيئًا غير جيد، من أين علم الرجل ذلك؟ وما قيمة هذا الحدث المخترع؟ أِلصُنعِ عنصر تشويق يكون الأمر كذلك؟

وأما ثانيهما فقد ورد ص٣٩ بعد أن حدثها خادمها ميسرة عما شهده في الرحلة من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "**استقر كلام ميسرة في قلب السيدة خديجة، ولم تستطع أن تطرد صورته من عقلها**".

انظر الطريقة الفيملية التي تظهر فيها الممثلة وهي مشغولة ويطاردها شبح من تحب!

هذان مثالان عن المساحة التي يصف فيهما القاص شخصيات عمله، فإذا ذهبنا إلى الحوار الذي ينطق فيه رسول الله والسيدة خديجة، وجدناه غير لائق، ولا سيما قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وتجعلك كلماته تستشعر أنك تستمع إلى شاب ممن تعرف، ولا يجعلك الأسلوب تستشعر أنك تسمع لأفصح العرب.

وسأورد مثالًا واحدًا ورد ص٤٠ عندما ذهبت نفيسة تحدثه بأمر السيدة خديجة: (وكيف أدفع هذه الوحشة يا نفيسة؟ إنني فقير لا أستطيع أن أُحقق ما ترمين إليه من الزواج، وليست كل امرأة تصلح زوجًا، وليس الزواج لعبة يا نفيسة كما يتخذه بعض الناس، بل هو مهمة صعبة).

انظر كيف يقول النبي: وليس الزواج لعبة!

ومن أراد المزيد، فليقرأ حوارات النبي مع السيدة خديجة ص ٥٠ وص٥١، وغير ذلك من الحوارات.

فإذا تركنا الحوار ولغته، ويَمَّمنا صوب الشخصيات وأهميتها، وجدنا السيدة خديجة هي الشخصية الرئيسة في القصة؛ سواء ظهرت في الأحداث، أم لم تظهر، ووجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كذلك.

فإذا تركنا هذا وصوَّبنا شطر الأحداث، وجدنا أحداثًا سأتوقف بشأنها إلى حين مزيد بحث، فإن البحث الذي قمت به لم أُصادفها فيه، لكنني سأذكر بعضها لعل أحدًا يفيدني بشأنها شيئًا.

١- ص٧١: ودعت السيدة خديجة رضي الله عنها صاحباتها وجاراتها، ثم كادت صدور بعضهن تنشق وخديجة تُخبرهن برسالة زوجها".

و لم أعثر على ما يؤيد ذلك خلال زمن الدعوة السرية.

٢- ص ٨٢ عند حديثه عما بعد مجيء الوحي بعد انقطاعه زمنًا: "وخرجت معه إلى الكعبة تصلي خلفه أمام الناس، غير عابئة بالسخرية اللاذعة التي تنبعث من حولهما من كل مكان".

٣- ص٨٩- ص٩٠ بخصوص الوليمة التي أعدَّها الرسول صلى الله عليه وسلم لوجهاء مكة عندما أمر بالجهر والإنذار العام.

(٧)

٦- هل يكون رسول الله شخصية ثانية في العمل الأدبي؟

يقال في أمثالنا: "البعيد عن العين بعيد عن القلب".

والسؤال: هل ينطبق ذلك على الشخصيات الأدبية، بمعنى أن الشخصية التي تظهر في الأحداث هي العاملة المؤثرة فقط، وتلك التي تغيب عن الأحداث تكون غائبة؟

والجواب في وضوح: لا.

كيف؟

إن هذا المثل ينطبق على غير المؤثرين في حياة المرء، أما المؤثرون فهم في حبة القلب غابوا أم حضروا، وُجدوا في المكان ذاته أم لا، فمثلًا الابن إذا غاب هل تُمحى ذكراه من القلب؟ والصاحب إذا انتقل إلى مكان آخر هل يذهب تأثيره؟ ... إلخ.

وكنت أكتب في رسائلي إلى من كنت أراسلهم نهاية الرسائل: "**سلامي إلى من تحملهم داخلك، ويحملونك دواخلهم**"؛ إيمانًا مني بأن أثر المرء يستمر بغض الطرف عن وجود صاحبه واقعًا أم لا.

وهذا معنى محسوس واقعي مشاهد، تستطيع استقراءه في حياتك وحياة من حولك، فهل ينتقل ذلك إلى واقع الأعمال الأدبية؟

إن الشخصيات في الأعمال الأدبية تماثل تلك التي في الحياة، من انقسامها إلى شخصيات رئيسة وأخرى ثانوية تابعة حسب قربها من الأحداث وتأثيرها فيها دفعًا وتغييرًا وتطويرًا، وتكون الرئيسة محل اهتمام الأديب، فيرسم جوانبها، ويستجلي سماتها، وتنمو مع الأحداث ... إلخ، أما غير الرئيسة فلا يهتم بها الاهتمام نفسه.

هذا مسلَّم به، لكن السؤال هو: كيف تكون الشخصية الرئيسة شخصية رئيسة؟ أيكون ذلك بظهورها ذاتًا في كل الأحداث؟ أم يكون بظهورها تأثيرًا في الشخصيات التي تظهر في الأحداث؟

والجواب يكون بهما معًا أو بأحدهما حسب اختيار الأديب وحسب زاوية رواية الأحداث؛ ففي وجهة نظر المتكلم تكون الشخصية الرئيسة حاضرة في كل الأحداث؛ لأنها هي الراوية، وفي وجهة نظر الغائب قد يكون الحضور الشخصي في كل الأحداث أو معظمها، وقد يكون الحضور التأثيري.

وهل يكون ذلك مرتبطًا بنوع أدبي أكثر من نوع آخر؟

لا أظن ذلك.

السابق يتصل بالشخصيات العادية في مختلف أجناس الأدب، لكن هل يكون الأمر منطبقًا على الأعمال الأدبية التي يكون فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية أدبية؟

وجواب كل مسلم لا يكون إلا "لا"؛ سواء أكان أديبًا أم ناقدًا أم قارئًا، فالرسول لا يكون ثانيًا في أي سياق يكون حاضرًا فيه، بل يكون الشخصية الأولى؛ سواء أكان في الحدث، أم كان غائبًا عن الحدث.

لماذا؟

لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مصدر القدوة والأسوة؛ يقول تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١]، وقال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: ٣١، ٣٢]، وقال: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [النساء: ١٣، ١٤]، وغير ذلك من الآيات.

فلو كتب أديب عملًا أدبيًّا جمع بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره، فلا ينبغي أن يكون الرسول في المرتبة الثانية.

لماذا أقول ذلك مع وضوح هذا المعنى؟

لأن هناك من كتب عن السيدة خديجة رضي الله عنها، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم – عملًا لم يحافظ على هذا الترتيب.

كيف؟

في قصة السيدة خديجة المقررة على الصف السادس الابتدائي يظهر ذلك جليًّا واضحًا.

كيف؟

أشرت إلى هذا المعنى إشارة وجيزة في مقال: "نقد وجهة نظر الغائب في القصص التي تجعل رسول الله شخصية أدبية" في الفقرة التاسعة، وهنا أُعمق المعنى شيئًا ما بما سأنقل – مما قاله الأستاذ أحمد محمد صقر – موقفين قبل الرسالة، وموقفين بعد الرسالة:

أولًا: قبل الرسالة:

(أ)

ص٥١ وص٥٢ على طوله، ولن أعلق عليه مخافة المساس بأُمنا السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها من دون قصدٍ، ولن أشير إلى عدمية دليل كون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان من أساطين مكة:

"قالت خديجة في جد:

- ... فلك في مكة من العمل ما لا يدع وقتًا للرحيل.

فسألها محمد باسمًا:

- أي عمل تعنين يا بنةَ العم؟

قالت في رفق وحنان:

- مكة كلها تتطلع إلى رأيك ومشورتك، ومكان الرياسة فيها يناديك، ويفتح ذراعيه لك، ورجال مكة سيُفسحون لك؛ لتأخذ ذلك المكان الذي خُلقت له.

- سأفكر يا بنة العم، وإن كان الأوان لم يَحِن، فما زلنا في أول الطريق يا خديجة.

... وقد أفسح رجال مكة لمحمد مكانًا بينهم، وأصبحوا يستشيرونه في أشد أمورهم تعقيدًا؛ ثِقة بذكائه وحكمته، وبُعد نظره، ويجعلونه موطن أسرارهم ومستودَع أماناتهم.

إذا جلسوا للأمر العظيم دعوه، وإذا قاموا إلى مكرمة لم يَفتهم رأيه، وكلما انفسح له مكان في وسط الرؤساء أحسَّت خديجة بالعزة، وتمنَّت أن يُفسَح له مكانٌ أرفع منه، حتى يكون سيد مكة كلِّها".

(ب)

وسأنقل من ص٥٦ مشهد ما بعد موت القاسم.

يقول الأستاذ أحمد محمد صقر:

"فانفلق قلب خديجة نصفين، ودارت بها الأرض، وتذكَّرت زوجها، فتجلَّدت ليتجلد، وحبست دموعها في عينيها وقلبُها يشتعل، لكنها رأت عينيه تدمعان، فدمعت عيناها، وقالت وهي تنظر إليه في إشفاق:

- قضاء الله يا محمد، ولا راد لما قضى الله! ما بخلنا بجهد ولا مال، وهل في كان في أيدينا أن نرد القاسم وقد اختاره ربه إلى جواره؟!

ثانيًا: بعد الرسالة:

(أ)

ورد ص١٠٧ زمن الحصار:

"وزاد نشاط أبي جهل المشرف على الحصار، و لم يعد يهدأ أبدًا، يدور صارخًا مهددًا، يقول بأعلى صوته محذرًا:

- سوف أُفسد على خديجة كل تدبير! سوف أُحكم حلقات هذا الحصار عليها قبل سواها، ولن يستطيع أحد من أقاربها أو أتباعها أن يخترق هذا الحصار".

ثم أكَّد هذا المعنى ص ١٠٩ بعد ضبط أبي جهل حكيم بن حزام، فقال: "وأبو جهل يصرخ ويحاول التخلص من قبضته، ويصيح في رِعدةٍ قائلًا:

- خديجة! خديجة!

- خديجة من وراء كل تدبير، سنقتل خديجة وآل خديجة!".

ثم أكد ذلك على لسان أبي لهب ص١١٧ وص١١٨، ولن أورد النص لأنه يؤكد السابق.

(ب)

أورد ص ١١٩ وص١٢٠ حوارًا بين السيدة خديجة ورسول الله على النحو الآتي:

"فأقبلت عليه السيدة خديجة رضي الله عنها بنفسٍ هادئة ووجه باسم، وقالت في صوت رقيق:

- ماذا بك يا رسول الله؟ ماذا أهمك اليوم ونال منك الكثير كما أرى؟

- أبو طالب يا خديجة!

أبو طالب مشرف على الموت، والكفار ينتظرون وفاته؛ ليصبوا علينا كل ما لديهم من نكال، هذا ما أهمَّني يا خديجة، وهل بعد ذلك من سبب يقلق ويُضني؟

قالت ببسمة لطيفة:

- هوِّن عليك يا رسول الله، فلن يَصلوا إلى ما يشتهون أبدًا، الله معنا يا رسول الله، ولن يترك الباطل يطغى على الحق! سيتم الله نوره ولو كره المشركون! وإذا كان أبو طالب سيُلبي نداء ربه حين يوافيه الأجل، فرَبُّ أبي طالب أقوى وأحن!".

(٨)

٧- هل يكون رسول الله شخصية أدبية؟

يختزن الأديب معالم الأشخاص الذين يعايشهم ويحاورهم في حياته الواقعية، ويمتص ملامح النماذج الإنسانية التي يقرؤها للآخرين، ويحتوي أنماط البشر في الأعمال المرئية، ويوظف ذلك كله عند إنشاء نماذج أعماله الأدبية التي تحمل الأحداث التي تخدم القيم التي يريد إيصالها إلى القراء.

تتعدد مصادر تكوين النماذج عند الأديب كما رأينا، لكنها عند التنفيذ تنقسم قسمين فقط حسب الاستقراء الأدبي وتمثل ما يجب.

ما هما؟

الشخصية الأدبية، والشخصية الواقعية.

ما الفرق؟

الشخصية الأدبية هي تلك الحالة التي يشكلها الأديب، ويرسم لها مواقفها، ويُحدد لغتها وسلوكها، ويكون حر التصرف في وضع أبعادها؛ وصفًا للظاهر الجسدي، وسردًا للسمات النفسية والعقلية، وغير ذلك من وسائل تشخيصها للقارئ.

وهي بذلك تكون طيِّعة له، وتكون من إنشائه، بغض النظر عن كونها من خياله فقط، أم من خياله وواقعه معًا.

أما الشخصية الواقعية فهي شخصية لا يَملِك الأديب التصرف فيها، بل يُخبر عنها.

ما هي تلك الشخصية؟

إنها الشخصية التاريخية، وليست سواءً، بل تبدأ من الشخصيات المقدسة كالرسل، وتمر بالشخصيات التاريخية المشهورة عند العامة والخاصة التي تحدَّدت معالمها؛ كالصحابة وكثيرٍ من القادة، وتنتهي بالشخصيات التاريخية غير المشهورة عند العامة.

لماذا؟

لأن الأديب يلتزم النصوص التي ورَدت عنها، فيكون مخبرًا لا منشئًا؛ حتى لا يتعدى المقدس، ولا يصدم الحقائق، ولا يصدم أذهان الناس.

فهل يلتزم من يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك؟ أم يجعله شخصية أدبية فيتصرَّف في الوصف أو الأحداث، أو غير ذلك من الوسائل الفنية؟

في قصة "السيدة خديجة رضي الله عنها" المقررة على الصف السادس الابتدائي في جمهورية مصر العربية – خرج الأستاذ أحمد محمد صقر المؤلف عن الشخصية الواقعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعله شخصية أدبية في مواقفَ كثيرة من قصته.

كيف؟

كان ذلك بوسائل كثيرة على مختلف وسائل البناء الفني، سأجتزئ ببعضها بعد أن تناولت اللغة في المقال الأول من سلسلة مقالات نقدي هذا الكتاب المعنون بـــ "نقد وجهة نظر الغائب في القصص التي تجعل رسول الله شخصية أدبية".

كيف؟

أ- الحوار:

سمح لنفسه أن يُفصِّل فيما ورد مجملًا، بغض النظر عن صحته أو لا.

كيف؟

في الحوار الذي دار بين نفيسة ورسول الله صلى الله وسلم، وامتد من ص٣٩ إلى ص٤٢، نجده يتوسع في الحوار بينهما، وأورد هنا جزءًا آخر من الحوار غير ما أوردته في مقالي الأول: "نقد وجهة نظر الغائب في القصص التي تجعل رسول الله شخصية أدبية".

يقول ص٤١ على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فأسرع باسمًا:

- يزيد المهر يا نفيسة وأنت تعرفين مهور الأغنياء، وتعلمين أنه يُثقل الأزواج ويُعجِز الكثيرين، وأين لي بمثله يا نفيسة؟

وامتد الحوار!

وهذه سمة تكاد تكون عامة في حوارات الرسول صلى الله عليه وسلم.

ب- اختلاق أحداث:

سمح لنفسه أن يدلس في الاستشهاد بالقرآن في غير وقته.

كيف؟

ص ٨٦ وفي الحوار الذي دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والسيدة خديجة بعد وفاة ابنهما عبدالله، قال عن النبي: "وأقبل الرسول صلى الله عليه وسلم عليها يواسيها".

ثم قال على لسانه: "ويقول لها بصوته الرقيق الحنون:

- أراد الله بك الخير يا خديجة، لم يردك أن تكوني أُمًّا لبعض من خلقه فحسب، و لم يشأ أن تكوني أم القاسم أو عبدالله، بل اختار لك أن تكوني أُمًّا للمؤمنين جميعًا، ألا يسرك هذا اللقب يا خديجة".

يورد ذلك على لسان النبي قبل نزول قوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ

مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الأحزاب: ٦]؛ فسورة الأحزاب مدنية، وكان ذلك الحديث في بدء الإسلام.

هذا على ركاكة هذه التعزية لغة وواقعًا، فقد صارت أُمًّا للقاسم وعبدالله؛ فقد ولِدا وعاشا زمنًا، ولو كانت هذه العبارة على لسان الكاتب بصياغة أخرى، لارتفَع الإشكال.

ج- الوصف المعنوي:

الأديب يرسم شخصيات عمله الأدبي من خلال وسائل فنية كثيرة - منها مواقفهم في الأزمات - ونجد الأستاذ أحمد محمد صقر قد جعل الرسول يائسًا من إيمان قومه كلهم.

كيف؟

قال ص ٩٠ وص٩١ معقبًا على محاولة إعلان الدعوة تنفيذًا لقوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]: "ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم على خديجة والحسرة بادية في مُحيَّاه:

- أرأيت يا خديجة؟ أرأيت هؤلاء القوم الغلاظ الأكباد؟ إنهم مصرون على الكفر، ولن يستجيبوا لهذا الدين أبدًا؟ وكيف يستجيبون له وهم يرون أنهم أرفع من الناس ... إلخ؟!".

نرى الأستاذ يستخدم "لن" و"أبدًا"؛ مما يجعل رسول الله صلى الله يائسًا قبل بذل المحاولات، وهذا يضاد الحديث الذي رد فيه رسول الله على ملك الجبال، والذي رواه البخاري: (عن ابن شهاب، قال: حدثني عروة أن عائشة رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد، قال: ((لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبديالِيل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعَث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلَّم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا)).

ويؤكد هذا المعنى من خلال السيدة خديجة التي قال عنها في ردها على رسول الله في الموقف السابق ص٩١: "قالت خديجة باسمة في صوت هادئ رقيق:

- لا تيئَس يا رسول الله، فأنت تدعوهم إلى خيرهم ... إلخ".

وكرر ذلك ص١١٩ وص١٢٠ كما في نماذج المقال الثاني من مقالات نقدي هذا الكتاب المعنون بـــ "هل يكون رسول الله شخصية ثانية في العمل الأدبي؟".

(٩)

٨- وانتصرت النبوة على الأدب في قصة أُمنا خديجة على ٦ ب، واستجابت وزارة التربية والتعليم في ٢٠١٦م لما قلته في ٢٠١٢م بشأن الفصل الرابع من قصة أمنا خديجة للسادس الابتدائي.

في ٢٠١٢/١/١٥م كتبت مقالًا عنوانه: (**نقد وجهة نظر الغائب في القصص التي تجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية أدبية**)، تناولت فيه أمورًا كثيرة، من بينها ما كان سببًا في التعديل التربوي الذي أصاب القصة في فصلها الثالث المعنون بـــ"**دوافع الارتباط**".

ماذا قلت؟

قلت في "**ثانيًا: البناء الفني ووسائله**": [**... فإذا ذهبنا إلى الحوار الذي ينطق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والسيدة خديجة، وجدناه غير لائق، ولا سيما قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وتجعلك كلماته تستشعر أنك تستمع إلى شاب ممن تعرف، ولا يجعلك الأسلوب تستشعر أنك تسمع لأفصح العرب، بيد أنه من قريش.**

وسأورد مثالًا واحدًا ورد ص٤٠ عندما ذهبت نفيسة تُحدثه بأمر السيدة خديجة:

- وكيف أدفع هذه الوحشة يا نفيسة؟ إنني فقير لا أستطيع أن أُحقق ما ترمين إليه من الزواج، وليست كل امرأة تصلح زوجًا، وليس الزواج لعبة يا نفيسة كما يتخذه بعض الناس، بل هو مهمة صعبة".

انظر كيف يقول النبي: وليس الزواج لعبة!].

وفي ٢٠١٢/١١/١٥م كتبت مقالًا ثانيًا عنوانه: {**هل يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية أدبية؟**}، تناولت فيه مسائل منها المسألة ذاتها التي تسبَّبت في حذف هذا الجزء كله.

ماذا جاء فيها؟

قلت في هذا المقال: (**في قصة "السيدة خديجة رضي الله عنها" المقررة على الصف السادس الابتدائي في جمهورية مصر العربية، خرج الأستاذ أحمد محمد صقر المؤلف عن الشخصية الواقعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعله شخصية أدبية في مواقفَ كثيرة من قصته.**

كيف؟

كان ذلك بوسائل كثيرة على مختلف وسائل البناء الفني، سأجتزئ ببعضها بعد أن تناولت اللغة في المقال الأول من سلسلة مقالات نقدي هذا الكتاب المعنون بـــ"نقد وجهة نظر الغائب في القصص التي تجعل رسول الله شخصية أدبية".

كيف؟

أ- الحوار:

سمح لنفسه أن يُفصل فيما ورد مجملًا، بغض النظر عن صحته أو لا.

كيف؟

في الحوار الذي دار بين نفيسة ورسول الله صلى الله وسلم، وامتد من ص٣٩ إلى ص٤٢، نجده يتوسع في الحوار بينهما، وأورد هنا جزءًا آخر من الحوار غير ما أوردته في مقالي الأول: "نقد وجهة نظر الغائب في القصص التي تجعل رسول الله شخصية أدبية".

يقول ص٤١ على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فأسرع باسمًا:

- يزيد المهر يا نفيسة! وأنت تعرفين مهور الأغنياء، وتعلمين أنه يثقل الأزواج ويُعجز الكثيرين، وأين لي بمثله يا نفيسة؟

وامتد الحوار!

وهذه سمة تكاد تكون عامة في حوارات الرسول صلى الله عليه وسلم).

وتابعت مقالات سلسلة نقد قصة أُمنا خديجة رضي الله عنها وأرضاها حتى بلغت سبعة، ونشرتها، وكنت قد تركت تدريس التربية الإسلامية شطرًا من العام الدراسي ٢٠١٤/٢٠١٥م، والعام الدراسي ٢٠١٥/٢٠١٦م، لكنني ظللت متابعًا، ثم عدت إلى تدريسها هذا العام ٢٠١٦/٢٠١٧م، لأفاجأ هذه المفاجأة السارة التي أسعدتني، وجعلتني أشعر أن في توجيه التربية الإسلامية على مستوى مستشار المادة جِدة في العمل، والأخذ بما يقال نُصب العين حين تجديد الطبعات، وتغيير المنكر باليد.

ماذا وجدت في طبعة هذا العام؟

وجدت الطبعة خالية من الصفحتين والنصف اللتين أشرتُ إلى عدم صحتهما فنيًّا ودينيًّا قبلُ.

كيف؟

كانت طبعة ٢٠١٤/٢٠١٥م، وكذلك ٢٠١٥/٢٠١٦م - قد شهِدت النص الآتي بدءًا من آخر ص٣٩ حى منتصف ص٤٢.

ما هو؟

أنقله على الرغم من طوله، لكن الضرورة تبيح نقله كاملًا: (**التفت نفيسة برداء الليل، وسارت من بيت خديجة إلى بيت محمد، واستأذنت عليه، ثم دخلت، فوجدته مطرقًا يفكر، وبدا لها كأنها لم تعرفه من قبل، رأت رجلًا وسيمًا، ربعَةً ليس بالقصير ولا بالطويل، ضخم الرأس، مرجل الشعر شديد سواده، مبسوط الحاجبين، واسع العينين، يشع من وجهه نور متلألئ، فحيَّته، فرفع إليها عينيه، فأُخذت بجلاله وهيبته، ثم حياها، وقال في رفق:**

– خيرًا يا نفيسة! ماذا جاء بك الساعة؟

قالت باسمة: جئت أهنئك بسلامة العودة، ثم تلفتت حولها، فلم تجد في الدار غير أم أيمن الحبشية جاريته مشغولة بعمل البيت، فقالت وهي تشير إليه باسمة:

– ألا تحس بالوحشة يا محمد؟! أتحب أن تقطع الأيام هكذا أنت وأم أيمن؟ أليس لهذه الوحشة من نهاية؟!

– وكيف أدفع هذه الوحشة يا نفيسة؟! إنني فقير لا أستطيع أن أحقق ما ترمين إليه من الزواج، وليست كل امرأة تصلح زوجًا، وليس الزواج لعبة يا نفيسة كما يتخذه بعض الناس، بل هو مهمة صعبة لا تتحقق أغراضها إلا إذا توافرت وسائلها، وحتى يقدرني ربي على مهر الزوجة الصالحة المستقيمة أفعل إن شاء الله.

اشتد سرور نفيسة، فقد أحست باقترابها من غرضها سريعًا، وقالت في أمل:

– وإذا وجدت المرأة الصالحة المستقيمة الشريفة، وكانت ذات ثراء كبير!

فأسرع باسمًا:

– يزيد المهر يا نفيسة! وأنت تعلمين مهور الأغنياء، وتعلمين أنه يثقل الأزواج ويعجز الكثيرين، ومن أين لي بمثله يا نفيسة؟!

فازدادت المرأة سرورًا، وأحست بأن الهدف دنا أكثر من ذي قبل، وقالت وهي تتكلف الهدوء: وإذا يسر لك المرأة الجميلة الغنية الشريفة الصالحة دون أن تتكلف هذا المهر الكبير، فماذا ترى؟

– ليت يا نفيسة! ومن تكون هذه؟

فجمعت المرأة كل قوتها، وقالت في صوت خفيض:

– خديجة يا محمد، خديجة بنت خويلد، ألا تصدق؟!

فنظر إلى المرأة نظرة طويلة، وود لو كان غنيًّا فعرض على خديجة الزواج، فقد وجد روحه تنجذب إليها، ورأى صفاتها تكبر في نفسه، ثم قال في أمل:

– ومن لي بذلك يا نفيسة؟!

فأسرعت المرأة في سرور قائلة:

– أنا يا محمد، أنت خير زوج لمثل خديجة، سأقنعها وأصرفها عما اعتزمت من رفض الزواج، عليَّ تحويلها عن رأيها، ولا أظن أنها ترفض إذا بلغتها رغبتك.

ثم انصرفت مسرعة، وذهبت إلى خديجة، ودخلت عليها فائضة السرور، وزفت إليها البشرى بقبول محمد، فقبَّلتها خديجة، وضمَّتها مرات، ثم نهضت إلى أحد مخازنها، واختارت بعض الهدايا الثمينة وقدمتها إليها في سرور).

كان هذا الحوار المخزي غير اللائق بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الطبعات السابقة، فجاءت طبعة ٢٠١٦/٢٠١٧م خالية منه.

كيف؟

اختصرت هذه الطبعة كل هذه الصفحات في فقرتين جاءتا ص ٤١، ولخصت المتروك الذي يبلغ **٢٨١** كلمة تحمل في طيَّاتها أخطاءً جَمة كما قرأت – في **٩** كلمات تخلو من المآخذ.

ما نصهما؟

نصهما هو (**التفَّت نفيسة برداء الليل، وسارت من بيت خديجة إلى بيت محمد، واستأذنت عليه، ثم دخلت، فوجدته مطرقًا يفكر، وبدا لها كأنها لم تعرفه من قبل، رأت رجلًا وسيمًا، ربعَةً ليس بالقصير ولا بالطويل، ضخم الرأس، مرجل الشعر شديد سواده، مبسوط الحاجبين، واسع العينين، يشع من وجهه نور متلألئ، فحيَّته، وأسرت إليه كلامًا وقع منه موقع القبول والرضا، ثم انصرفت مسرعة، وذهبت إلى خديجة، ودخلت عليها فائضة السرور، وزفت إليها البشرى بقبول محمد، فقبَّلتها خديجة، وضمَّتها مرات، ثم نهضت إلى أحد مخازنها، واختارت بعض الهدايا الثمينة وقدَّمتها إليها في سرور).**

ويدفعني هذا التعديل إلى ترقُّب إحداث التغييرات الأُخَر في أثناء القصة، فهل تحمل الطبعات القادمة مفاجآت؟

أرجو بل أدعو!

هذا الكتاب منشور في